المبـاني التـراثية في الجزائر
بين المخاطر والحلول

أ/ بدرالدين شعباني*

ورثت أجيالنا ثروة من الموارد التراثية الملموسة وغير الملموسة تجسد الذاكرة الجماعية للمجتمعات عبر العالم، وتدعم من شعورها بالهوية في أزمنة القلق وعدم اليقين، وهذه الموارد التي نتعهدها بالرعاية من أجل البشرية لا يمكن تحديدها ومع ذلك فإن كل مجتمع في حاجة إلى أن يقيم طبيعة موارده التراثية وما يحيطها من مخاطر، في مفاهيمه هو، وأن يقرر كيف يستخدمها بشكل معاصر، لا بروح الحنين إلى الماضي فحسب بل بروح من التطور و التنمية من أجل غدا مشرق ومستقبل باهر، ومن هنا اتسع مفهوم المحافظة على التراث الإنساني ليشمل تصنيفات جديدة من صنع البشر وإبداعاتها(١)، والجزائر التي لم تكن يوما بمنئ عن مجرى التاريخ الحضاري صنفت ممتلكاتها الثقافية برا وبحرا إلى:

١ ـ الممتلكات الثقافية العقارية
٢ ـ الممتلكات الثقافية المنقولة
٣ ـ الممتلكات الثقافية غير المادية

هذه الأخيرة التي تعد جزءا من التراث الثقافي للأمة هي الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات اجتماعية وإبداعات الأفراد والجماعات عبر العصور والتي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا(٢). أما فيما يخص الممتلكات الثقافية العقارية فيمكننا تصنيف نوعين من العمارة التي تعود إلى الماضي:

١ ـ العمارة التاريخية: وهي أي مبنى أنشئ في الماضي البعيد لا يقوم الآن بالوظائف التي شيد من أجلها.

٢ ـ العمارة التراثية: وهي المباني المشيدة في الماضي القريب، والتي لا زالت تقوم بوظائفها التي شيدت من أجلها أو جزء منها.

---

* جامعة منتوري- قسنطينة

(١) - أحمد رفاعي، " السياحة الثقافية عامل للمحافظة على التراث الأثري "، حوليات المتحف الوطني للآثار، ع ١٠، الجزائر، ٢٠٠١، ص ٨٣.

(٢) - الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، ع ٤٤، السنة ٣٥، الأربعاء٢٢ صفر١٤١٩ هـ/١٧ يونيو ١٩٩٨م، ص ٠٤. - وإن كانت بعض بنود هذا القانون تحتاج إلى المراجعة وإعادة صياغتها لتتلاءم أكثر وعملية حماية التراث الأثري الوطني -.

المنارة للاستشارات
www.

إن مدى التأثر بالمباني التاريخية قد يحدث وبشكل محدد، ولكن التأثر بالمباني التراثية قليل جدا أو معدوم حيث أن الناس لا تقيم الماضي القريب وقد لا تستسيغه أحيانا[٣] وقد تطلعنا إلى مثل هذا الأمر عند رحلتنا إلى مدن تحوي مبان تراثية، بعضها تهدم وآخر آيل إلى السقوط، وأن سكانها ينتظرون أول فرصة لترحيلهم من هذه المباني، غير آبهين لها ولا لقيمتها، وقد عايشنا هذا الأمر مع سكان قصبة الجزائر بداية التسعينيات وينطبق اليوم على سكان المدينة القديمة بميلة وقسنطينة، ومستغانم ووهران، وغيرها من المدن الجزائرية التي مازالت قصباتها العثمانية قائمة إلى يومنا هذا، أو هي مهددة بالسقوط.

ولنا أن نتساءل عن الأخطار التي تهدد المباني التراثية تبعا لهذه السلوكيات؟ وما الحلول الممكنة في سبيل مواجهة ذلك؟.

لا يمكن لنا تعداد كل المخاطر التي قد تواجهها المباني الأثرية، بسبب كثرتها وتعدد مُسبِّباتها، ولكن يمكننا أن نصنفها حسب العوامل التالية:

أ- عوامل تاريخية:

تعرضت الجزائر للغزو الفرنسي منذ ١٨٣٠م، وقد كان لهذا الغزو أثره السلبي على التراث الأثري عامة والمباني الأثرية بصورة خاصة، حيث تعد الفترة التي حكم فيها الجنرال كلوزيل أسوء مرحلة عرفها تاريخ العمارة الجزائرية باعتبار أن عمليات التهديم دامت طوال فترة حكمه، ولما خلفه السيد جانتي دوبيسي أكد نفس السياسة المتبعة مع إعفاء المسئولين من تسجيل عدد البنايات التي تهدم كون عمليات التسجيل أصبحت متعبة، وأن الأعمال التي يقومون بها هي في الواقع أعمال شرعية، وقد صرح السيد جانتي دوبيسي لأحد أعضاء البلدية بقوله:" إننا أخذنا الجزائر، فنحن أصحابها بلا منازع، وسنعمل فيها كل ما يحلو لنا سواء من ناحية الهدم أو غيره"[٤]. وشملت عمليات التهديم ما يعادل ثلثي المدينة بفحوصاتها، وبخاصة الجزء السفلي من المدينة، فقد أمر السيد الجنرال كلوزيل بتهديم محلات تدعى القيصرية كانت تبيع الكتب التي هي أدوات الحضارة، والتي تنير طريق الإنسان المثقف. وكان فيها الناسخون لأن المطابع معدومة في أفريقيا في ذلك الوقت،.. وهدم كذلك محلات تدعى سوق المقايس، تصنع فيها الأساور من قرون الجواميس وهي أساور جرت العادة أن تزين بها نساء العرب والقبائل أذرعهن. وكانت تشغل فرعا رئيسًا من فروع الصناعة في مدينة الجزائر، وتصدر إلى

(٣) - المهندس موفق جواد الطائي، " التراث والعمل الاستشاري المعماري"، في مجلة التراث والحضارة، يصدرها المركز الإقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية، بغداد، ع ٥، ١٩٨٣، ص ٤٠.

(٤) - خوجة(حمدان بن عثمان)، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٥، ص٢٨٦.

المنارة للاستشارات
www.

تونس وطرابلس وحتى إلى مصر. وكانت المادة الأولية، التي هي قرون الجواميس تشترى حمولات بأكملها وكان لأصحاب المصانع مندوبون مكلفون بشراء تلك المادة الأولية وتوزيعها على كل المصنعين حسب أهمية المؤسسة وبرؤوس أموال قليلة، كانوا يقومون بتجارة واسعة، وكان هذا الفرع من الصناعة يُشغِّل عدداً كبيراً من السواعد.

وهدم نفس الجنرال محلات ثالثة تدعى سوق الصباغين، كان العرب والبدو يتعمدون المجئ إلى مدينة الجزائر ليصبغوا فيها ما لديهم من قماش. وكانت هذه الصناعة هامة، تستهلك كمية كبيرة من القرمز والنيلة والفوة وغيرها من التوابل الصالحة للتلوين. عندما تهدمت هذه المحلات الثلاث، قضي على جزء كبير من الصناعة الجزائرية. ووقع تهديم محلات أخرى تدعى ***الفراغية***، وهي خاصة بجميع أنواع الأدوات الحديدية المصقولة مثل الأقفال وصفائحها وأنابيب البنادق إلخ.. ولم يترك إلا حوالي ثمانية حوانيت معزولة. وهدمت أيضا مصانع الحرير التي كانت تعد من أهم الصناعات في مدينة الجزائر، فقد كانت حمولات المراكب من الحرير تأتي من بيروت أو أزمير فتصنع منها الأقمشة وغيرها من المواد الأخرى، ثم تصدر إلى مملكة المغرب وتونس وطرابلس وتركيا ومصر، وحتى إلى سوريا.

ولم تنج حتى المراحيض الضرورية لسلامة المدينة وراحة السكان، ووقع تهديم المحلات المخصصة لصائدي الأسماك(٥).

ولعل أهم ما يلفت انتباهنا في عمليات الهدم هذه، قصة هدم جامع السيدة حيث أن اليهود الذين كانوا محيطين بالجنرال كلوزيل وبعد اطلاعهم على نقطة الضعف عند الجنرال، أي على طمعه في الثروة، جعلوه يلعب أكبر دور مثير للسخرية، فأوهموه بأن المسجد المسمى: جامع السيدة، يحتوي كنوز الداي. ولذلك صار هذا الجنرال يزور في خشوع ذلك المسجد، المكان التعبدي ويقصده مرارًا، " للصلاة فيه والدعاء" ثم قرر "بكل عفة" انه يستولي عليه وعلى الزَّرابي والثريات والمشاعل وعلى منبر رخامي كان هناك.

وهكذا أمر الجنرال كلوزيل بغلق أبواب المسجد، ودخل إليه، ليلا جماعة من العمال للبحث عن الكنز المزعوم، وظل الأمر كذلك إلى أن استنفذت جميع وسائل البحث وضاع كل أمل. ولتغطية هذه الفضيحة شرع حينها في تهديم ذلك المسجد الذي كان يشتمل على أعمدة من الرخام النادر* وعلى أبواب ضخمة قيل أنها بيعت فكيف يمكن بيع أشياء هي للمسلمين وحدهم؟ ومن هم اللذين اشتروه؟ يقال إن تلك الأشياء نقلت إلى تولوز- مدينة فرنسية-، وقد كانت حيطان ذلك المسجد مغطاة بمربعات الخزف

(٥) - المرجع السابق، ص ٢٧٧ - ٢٨٧.

* نقل هذا المنبر إلى الجامع الجديد(الحنفي) وما زال إلى يومنا هذا، أما الأعمدة الرخامية فقد زينت بها واجهة الجامع الكبير.

المنارة للاستشارات
www.

الصيني التي استوردت من اسبانيا. وكان في المسجد أيضا عارضات كبرى من خشب الكرسنة النادر الذي يستورد من فاس بإذن، لأن إمبراطور المغرب لا يوافق على تصديرها إلا بصعوبة. وقبل الانتهاء من تهديم هذا المسجد الذي لم يحصل إلا للبحث عن الكنز الموهوم وقع الاستيلاء على جميع الأشياء المذكورة أعلاه، وأكملت عملية مواصلة الهدم(٦). وبهذا تضيع تحفة نادرة من الفن المعماري الإسلامي ليس بفعل الزمن والتقادم ولكن بفعل المستعمر وجشع جنوده.

ب- عوامل طبيعية:

المناخ:

يعد المناخ من أهم العوامل المهددة للبنايات التراثية ما لم تُتَعهد بعمليات الصيانة والترميم المستمرة، وبقائها عرضة للعوامل المناخية من مياه الأمطار وعمليات التهوية - أي الفرق بين درجات الحرارة ليلا ونهارا- وما ينجم عنهما من ظواهر ميكانيكية وكيميائية تساعد على التحلل والاندثار المتدرج للمبنى وانفلاق الأحجار المستعملة في البناء من خلال الزيادة في الشروخ والتصدعات (أنظر الصورة رقم٢).

كما تعد الطحالب والفطريات أحد أهم الأخطار التي تهدد البنايات الأثرية باعتبار أن المناخ الرطب الذي يميز البحر الأبيض المتوسط، هو البيئة الملائمة لنمو هذا النوع من النباتات الضارة، وما ينجم عنها من تردٍ وتحلل لمختلف أجزاء البنايات، أضف إلى ذلك عامل الزمن أو ما يعرف في مصطلح الصيانة والترميم بالتقادم، وهو خطر داهم ودائم يهدد ممتلكاتنا التراثية ما لم نتعهدها بالصيانة والترميم.

الكوارث الطبيعية:

تعد الكوارث الطبيعية أهم الأخطار التي تواجه المباني عامة والبنايات الأثرية بصورة خاصة، وبما أن الجزائر تقع في منطقة تصنف ضمن الأماكن الأكثر عرضة للزلازل، فإن أخطار تهدم البنايات وارد في كل لحظة، أضف إلى ذلك الفيضانات، التي تهدد البنايات في الشمال الجزائري، وحتى المناطق الداخلية باعتبار الأمطار في هذه المناطق فجائية – أي أنها تنزل فجأة دون سابق إنذار، وبغزارة مرة كل خمس أو عشر سنوات – مما يجعلنا لا نستطيع توقعها أو تفادي أضرارها، وقد تغرق أحياءًا بكاملها إذا كانت قرب ما يعرف بالوديان الميتة. فخلال العهد العثماني فقط عرفت الجزائر سلسلة من الهزات الأرضية العنيفة التي تسببت في تخريب المدن، منها زلزال مدينتي الجزائر والمدية سنة١٦٣٢، الذي ذكرت عنه بعض الروايات أنه أهلك جل سكان مدينة الجزائر، وكذلك زلزال مدينة الجزائر وضواحيها عام ١٦٣٩ و١٦٧٦، على أن أهم الزلازل التي تعرضت لها السواحل الجزائرية هو زلزال سنة ١٧١٦، الذي تخربت من جرائه مدن شرشال وبجاية والجزائر العاصمة، واضطر السكان إلى الخروج إلى الأرياف بعد أن تهدمت منازلهم .. ثم تكررت الزلازل بمدينة مليانة وعنابة والجزائر عامي ١٧٢٣-

(٦) – المرجع السابق، ص ٢٧٩ – ٢٨٠.

المنارة للاستشارات
www.

١٧٢٤(٧)، وفي سنة ١٧٥٥ حدث زلزال عنيف شمل البحر المتوسط الغربي وعرف لدى المؤرخين بزلزال لشبونة لوقوع محوره بالقرب منها فلم يبق منزل لم يتأثر بمدينة الجزائر من هذا الزلزال حسب الرواة المعاصرين والذي دامت مدته شهرين من نوفمبر إلى آخر ديسمبر(٨).

وفي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، حدثت عدة زلازل منها زلزال وهران عام ١٧٩٠، الذي ساعد على استرجاع المرسى الكبير ووهران من أيدي الإسبان، وكان من الشدة حيث قضي على ١٠٠٠ شخص تحت الأنقاض .. ثم تكررت الهزات الأرضية العنيفة في عدة جهات فتأثرت عنابة عام ١٨١٠، ومدينة الجزائر عام ١٨١٨، والبليدة وجهات الأطلس البليدي ونواحي الساحل ومتيجة عام ١٨٢٥، وقد تسبب هذا الزلزال بالخصوص في هدم بعض الدور في مدينة الجزائر وخراب مدينة البليدة عن آخرها، وتكررت الهزات الأرضية في السنوات الأخيرة من حياة الأيالة الجزائرية وكان آخرها عام ١٨٣٠(٩). واستمرت الزلازل في الحقبة المعاصرة وكان أهمها زلزال الشلف ١٩٨٠، وآخرها زلزال بومرداس٢١ ماي ٢٠٠٣، والذي تحطمت إثره قبة وضريح محمد بن علي الشهير بالذباح*.

ت- عوامل بشرية:

إن أهم المخاطر التي تواجه تراثنا المعماري اليوم هي الزحف العمراني على المواقع الأثرية عامة والمباني التراثية خاصة باعتبار أن العديد من المدن التي مازالت قائمة هي مدن تاريخية موغلة في القدم وقد شهدت توسعات على حساب المساحات الخضراء والساحات العمومية منذ القدم مما أفقد المدينة مظهرها الجمالي، وقد عبر حمدان بن عثمان خوجة عن هذا الموقف منذ ما يزيد عن قرن من الزمان حيث جاء في مرآته: " إن الأماكن التي خصصت لبناء ساحة الجزائر، – ساحة الشهداء اليوم – لا تتناسب مع مساحة المدينة ولا تتلاءم مع هندستها المعمارية، وذلك أن ساحة الجزائر لا تقل سعة عن ساحة الفاندوم في باريس ودائرة المدينة لا تزيد عن دائرة حديقة التويلري، وعليه

(٧) - سعيدوني(ناصر الدين) والشيخ المهدي بوعبدلي، الجزائر في التاريخ العهد العثماني، وزارة الثقافة والسياحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر١٩٨٤، ص٨٩.

(٨) - الزهّار(أحمد الشريف)، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق المدني أحمد توفيق، ط ٢، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨٠، ص١٨.

(٩) - سعيدوني(ناصر الدين)، نفس المرجع، ص ٩٠.

* محمد بن علي الذباح: كان قائدا لبرج سباو بيسر في العهد العثماني، وقد استطاع بحنكته وصرامته – من هنا جاء لقبه الذباح- أن يُحل الأمن بالمنطقة كلها، بعد أن سُيطر عليها من قِبل قطاع الطرق من قبائل فليسة الجبلية.

المنارة للاستشارات
www.

فإن هذه المساحة بالنسبة للمدينة كقلنسوة الجندي بالنسبة لرأس طفل يتراوح عمره بين ٥ و٦ سنوات(١٠)".

كما أن المباني التراثية أصبحت تقف اليوم معزولة وسط العمارات والأبراج الحديثة، جلها دون حماية، ما قد ينجم عنه استعارة الأهالي لبعض مواد البناء لفترة غير محدودة، وهو ما يؤثر سلبا عليها ويساهم في عملية التقادم والاندثار(أنظر اللوحة رقم٣ و٤)

إن معرفتنا بالتراث المعماري يجعلنا في موقع متواضع من أعمالنا الشخصية وإذا قسنا أنفسنا بالمنجزات التي تمت لدى المعماري الأول نجد أن ما أنجز بالمحدودات الزمنية والتقنية الموجودة قد تكون فيه المقارنة لصالح المعماري القديم، وأن التواضع والصدق والإخلاص ونكران الذات كانت أسسا في تطور العمارة في كثير من الفترات السابقة(١١) ، كما أن التراث يعني أشياء مختلفة لأناس مختلفين، وحرفا مختلفة وضرورة تختلف أيضا باختلاف المهن و الأشخاص والمصالح الخاصة والتمرين الذهني، وإن اختلاف الآراء أو اتفاقها في تقييم التراث لا يعني شيئا بالنسبة إلى وجوده فهو موجود، والغريب أن يقتصر الفهم في مجتمعنا وعبر وسائل إعلامنا أن التراث هو الموروث الغنائي و الموسيقي فقط، وإذا توسعت دائرة أفق هذه الوسائل أضافت المسرح والرقص التقليدي، وأحيانا صورًا لمدن مندثرة أو بعض اللوحات الزيتية. والحقيقة أن التراث هو تراكمات لمجمل سلوكيات اجتماعية، واقتصادية، وفكرية لفترات زمنية معينة وأن هذه السلوكيات قد ضيعت شكله بالأمس، أما اليوم فهو شيء آخر قائم بذاته، وأن تقييمنا لجودته أو عدمها، غير مرتبط مباشرة بجودة السلوكيات التي أدت إليه أو عدمها فهو موجود ويمكن الاستفادة منه(١٢).

في الثمانينات ظهر في المملكة المتحدة شعار يقول:" إن صيانة التراث والمحافظة عليه تعود بالفائدة والربح على شتى مختلف شرائح المجتمع "، وسرعان ما وجد هذا الشعار أنصارا عبر العديد من دول المعمورة.. فلصيانة التراث الإنساني والمحافظة عليه لإبراز مختلف الجوانب التاريخية والحضارية المختلفة قيمة اجتماعية وثقافية، ومع ذلك فهي ليست القضية بالنسبة للدول الأقل رفاهية ووفرة مالية، والتي لا تتحمل اقتصادياتها الاستثمار في مجال المحافظة على التراث وصيانته(١٣).

لقد تولدت لدينا حقائق تشير أن التراث يؤثر في الاقتصاد ويتأثر به، حيث يزداد الاستهلاك و التأثر بالبضائع الاستهلاكية التي لا تسد حاجة حقيقية عند الإنسان في حالة الربط بالماضي، وغالبا ما يتعمد هذا الشئ الصناعيين لكي يعجلوا بالاستهلاك ويزيدوا من إنتاجهم، إن التراث يمكن أن يخفض من الاستهلاك ويزيد عمر استعمال المباني

(١٠) - خوجة(حمدان بن عثمان)، نفس المرجع، ص ٢٧٨ – ٢٧٩.
(١١) - المهندس موفق جواد الطائي، نفس المرجع، ص ٤٣.
(١٢) - المرجع السابق، ص ٤١.
(١٣) - أحمد رفاعي، نفس المرجع، ص ٨٣.

المنارة للاستشارات
www.

والحاجات، إضافة إلى كون هذه المباني التاريخية والتراثية وديعة غالية يزداد سعرها بمرور الزمن في الوقت الذي تقلل به قيمة النقود المتداولة(١٤).

إن تعريف هذه الحقائق لا يمكن أن يتم إلا من خلال معرفتنا بالتراث، وهذا لا يعني أن التراث مجرد مستودع لحقائق ثابتة وإنما طريقة ونموذج إلى الحياة ومعرفة سلوكيات وهيئات متغيرة وتراجم وتآويل وتفاسير مختلفة، لذلك هو جزء من طبيعتنا الشخصية و الرجوع إلى التراث ليس لفحصه أو إيجاد نموذج يصلح لكل الأشياء في المستقبل وإنما لإيجاد أنفسنا ومدى تطورنا(١٥)، كما أن تحسسنا الجيد للتأريخ يدلنا إلى المستقبل، وإن معرفة المستقبل ليس بنبوءة وإنما عملية متواصلة. إن الزمن شيء ديناميكي - حيوي - غير محدود بوقفات جمالية محدودة، وإن وجد هذا الشيء فهو موجود لغرض التحليل والدراسة وليس الواقع، إن تفهمنا للتراث لا على أساس السلوكيات و توقيف الزمن يدلنا إلى مفهوم آخر للاستفادة من التراث وهو معرفة تطور أساليب الإبداع، وأن هذا التطور ليس وقفا على شخص معين وإنما الجميع يسهمون في تعلمنا لأساليب الإبداع المختلفة وأن الحياة بمجملها تعلمنا الإبداع(١٦)، وأن هذا ما نسميه الأصالة في التراث، وليس إعادة الأساليب القديمة بحذافيرها، فهل تعلمنا أساليب الإبداع ؟ وإلى أي حد استفدنا من تراثنا ؟.

في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي حذر القس الإنجليزي "روبرت فرانس كيلفرت" بعبارة شهيرة من عمليات نهب وتدمير التراث الأثري فقال: " دون كل الحيوانات الضارة، يكون الإنسان أعظمها ضررا "(١٧)، لذلك فإن الرؤيا إلى التراث المعماري مثلا لا يمكن أن تكون من موقف متعال، وأننا لا نفهمه من دون التبسيط في معرفة فوائده ومضاره من سكنته والمشاركين في الاستفادة من هذه المباني، وإيجاد مصممين معماريين متمكنين من إعطاء التراث البنائي المعاصر الشخصية المعمارية التي نطمح إليها، والتي تعبر عن الأصالة في ثوب معماري معاصر، وتلك هي عملية الخلق الفني التي نحتاجها في إيجاد أسلوب معماري حديث، إن ممارسة التراث تستدعي بالضرورة أن يكون مبعثا للراحة والتشويق، وهذا ينطبق ليس على المباني فقط وإنما الممتلكات التراثية المنقولة والموسيقى والشعر وحتى التجول في الشارع، وإن شحذ الأدمغة يتأتى من الممارسة الوجدانية المتشوقة وليس الازدواجية في أداء العمل(١٨).

إن أهم سبب في عدم استعمال التراث هي عدم المعرفة ولا أعني بذلك المعرفة الصرفة فقط وإنما التعلم من خلال التربية الذهنية منذ الطفولة حتى الكهولة،

(١٤) - المهندس موفق جواد الطائي، نفس المرجع، ص ص ٤٣ - ٤٤.
(١٥) – نفس المرجع، ص ٤٤.
(١٦) - نفس المرجع، ص ٤٢.
(١٧) - أحمد رفاعي، نفس المرجع، ص ٨٢.
(١٨) - المهندس موفق جواد الطائي، نفس المرجع، ص ٤٧.

المنارة للاستشارات
www.

وأن المعرفة هي نتاج للتمرين الذهني الذي يمر به الشخص من خلال كافة أوجه الأنشطة في الحياة وأن هذا السبب قد ساعد على عدم الاستفادة المثلى من التراث[١٩]، وإن معرفة التراث والتاريخ ليست إلهاما طبيعيا، وإنما الرؤيا والقراءة التي تقود إلى الحس الذاتي الذي ينتج الحس التراثي، وأن انشغال أفراد المجتمع بالجري وراء لقمة العيش و الساعات الإضافية للفئة المتعلمة منه وغلاء المعيشة وغيره لم تساعد على الاستمتاع بالتراث والقراءة عنه لتكوين جمهور قارئ جيد للتراث، إن معرفة التراث هي ممارسة البحث عن الأزلية وترك الأنماط العابرة، إننا في الوقت الذي نقر بأن جذور الأعمال الجيدة هي سابقة لاشتهارها لا نغفل أبدا أن تغيرات جذرية وأشكالا معمارية حدثت من إبداع العصر الذي اشتهرت به أيضا، وأن هذه الدعوة على أساس المعرفة المستمرة للماضي والحاضر ضرورية، لكن لا تعطي لنا الحق في استعمال حجج الماضي لتشويه الحاضر، إننا نترك الأفكار والحجج إلى الأجيال القادمة لتقييم أزلية الأعمال المعمارية، لأن مجرد ذكر هذه الأحكام يفقد قيمتها[٢٠].

وأخيرا لا نعتقد أننا قد وفينا الموضوع حقه من البحث والتحليل لعدم إلمامنا بكل المخاطر التي قد تتعرض لها المباني التراثية، ولا نعتقد أن الحلول المقدمة هي حلول كافية وشافية، ولكننا نطمح أن يكون موضوعنا هذا قد نجح في إثارة الحفيظة لدى القائمين على حماية التراث والمباني التراثية، وجلب انتباههم إلى ضرورة الاهتمام بما هو قائم قبل أن يضيع وتضيع معه قيمنا الثقافية، وأن الوقت يعمل ضدنا وفي غير صالحنا، وأن الموروث الحضاري يستغيث ولا ينتظر استفاقة أي أحد، فهل من مجيب!!!!

اللوحة رقم(١):
الشكل الأول: مدينة الجزائر في العهد العثماني سنة ١٩٣٠

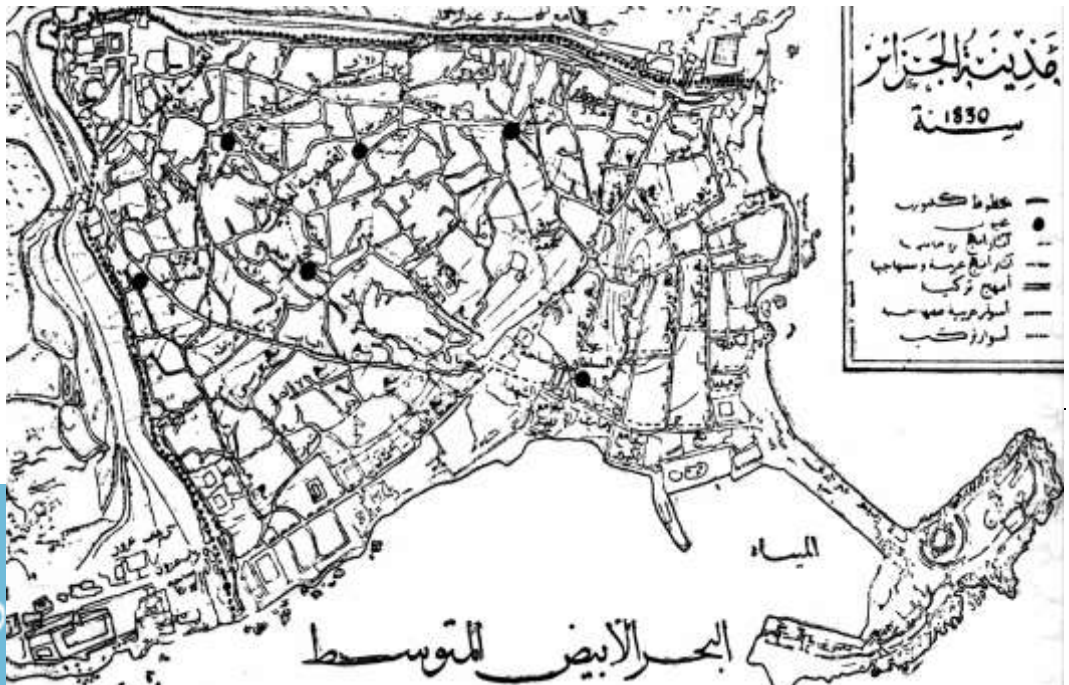

www.

الشكل الثاني: مدينة الجزائر في العهد الفرنسي سنة ١٨٣٦

الصورة رقم(١)

المنارة للاستشارات
www.

القصبة السفلى ويظهر فيها الجامع الجديد وساحة السلطة – ساحة الشهداء اليوم – التي كانت تتوزع فيها مختلف الصناعات والأسواق اليومية.
صورة لرحبة الجمال والتي لم يبق منها اليوم سوي الواجهة في عمق الصورة.

اللوحة رقم(٢):مدينة قسنطينة

أما الزقاق في الأسفل فجدرانه اليوم تدعمه بالأخشاب.

www.

اللوحه رقم (٣)

بجـاية

بقايا سور المدينة الذي أصبح اليوم وسط البنايات الحديثة وتظهر الصورتين باب البحر الذي كانت تغمره المياه في العهد العثماني بينما في الأسفل بقايا برج متصل بالسور القديم.

المنارة للاستشارات
www.

الصورة رقم(٢):

حصن القصبة لمدينة بجاية وهو اليوم عبارة عن متحف لكنه عرضة لأخطار النباتات والطحالب وهو يحتاج إلى الصيانة المستمرة والدائمة.

المنارة للاستشارات
www.

اللوحة رقم(٤): قصـر أميمـون

بقايا قصر أميمون الحمادي الذي هدم إبان الاحتلال الفرنسي وبنيت بدلا عنه هذه العمارة الجاثمة على أنقاضه

الصورة رقم(٣): الباب القديم لمدينة ميلة الأثرية

المنارة للاستشارات
www.

(*بـاب البلـد يعود للفترة الرومانية*)

تعد مدينة ميلة من أقدم المدن المأهولة في الشمال الأفريقي حتى يومنا هذا وهي ملتقى للتاريخ والحضارات وطريق للتجارة والحج

اللوحة رقم(٥):

المسجد الجامع لأبي المهاجر دينار أولى المساجد في شمال أفريقيا ويحمل اليوم اسم مسجد سيدي غانم

في الأعلى: البوابة الأصلية للجامع

المنارة للاستشارات

www.

في الأسفل: منظر داخلى وآخر خارجي للجامع
بعد أن أدخلت عليه تحويرات في العهد الفرنسي

اللوحة رقم(٦):

مناظر من المدينة العتيقة لميلة

المنارة للاستشارات
www.

في الركن الأعلى يسارا تقع دار عبد الحفيظ بوصوفأحد مفجري الثورة التحريرية المباركة

اللوحة رقم

العين الرومانية بمدينة ميلة

المنارة للاستشارات
www.

في الأعلى: مازالت مياها تجري إلى يوم الناس هذا
في الأسفل: صاحب المقال وقد ارتوى من مياهها

المنارة للاستشارات
www.